

## نافذة

## فقه القرآن

كل يوم تشرق الشمس فيه، تحمل قادماً جديداً، إلا المقدس الراسخ الذي يشكل للمسلمين لؤلؤة الله الفريدة، كما هو الإنجيل الذي يعني نور العين للمسيحية، والتوراة لليهودية، والأهمية تدعونا للبحث عن المنزل الراسخ بين دفتي عنواننا المكتون، بعد أن شهدنا ولأربعة عشر قرناً فقه السنة والسيرة والشرح التفسيري وأدبيات العقيدة وميثاقها، وفي الأونة الأخيرة ظهر علينا فقه الأزمة الذي اعتبره بعض الأئمة اجتهاداً، ولا ضمير في تلك الاجتهادات، ولكن ليس الأجدى والأفضل والأقوى الاتجاه للبحث في فقه القرآن والاستناد إليه، لكونه يحمل قوة أم الكتاب ودقة الفرقان، وأنه يأخذ بنا للبحث والتقصي في قضايا طرحها بقوة الإيمان الرئيس، حيث وحده يدعو إلى التمسك والتأمل والتفكير والتعلل وتدقيق السمع والاتجاه إلى العمل والفهم العلمي للحياة، وأن الإنسان يحمل في داخله كامل إبداعات الحياة المادية «وفي أنفسكم أفلا تبصرون». كيف بنا لا نناقش فقهه بغاية التفقه الدقيق منه، مثلاً قضايا أمية الرسول العربي، وجاهلية ما قبل الإسلام، والاعتراف الإلهي بالتوعد والتعدد، والفصل بين الأدبيات، وأن الله الوحيد الذي يحاسب الجميع، وأن لا حق لأحد بحاسبة أحد روحياً: أي نبذ التكفير وقضايا الحجاب، ولن كانت في حينها، والفرق بين التحريم والاجتباب، وما معنى ملكة الأيمان وعدالة الزواج بوحدة، وأن جميع الحرم محلل، بعد أن أوجد له الاضطرار، وأن الحياة أغلى من الموت، ومن ثم قدم التحليل، وقرنه بأهل الكتاب، «اليوم أحل لكم الطيبات، وطعام أهل الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم»، وأن أخطر أنواع الكفر، يكون الكفر بالإيمان، والإيمان إيمان بإنسانية الإنسان والواجد والموجود والشاهد والشهود.

ألا تؤمنون معي بأن الاشتغال في فقه الكتاب المكتون سيذكي فهم المتعلقين بالإسلام إلى حد الانهزام بعيداً عن جميع التفسير التي سكنت عقولهم، والتي كانت عبارة عن شروح لغوية؛ أي درست المعاني والقيم، ولم تدخل إلى علميتها، فالذي اعتبر أن الموجود كاف فهو ماضوي، لأن الكافي عند الانحصار لا يكفي، لأنه يحتاج إلى مضاف، وما نحن نعيش عصر الأزمت الإسلامية، فهل كنا اننا الموجود، نحن الآن بأمر الحاجة لتقديم الجديد وتجديد القديم جوهرأ لا مظهراً، نحن الآن نحيا سرطان الفهم النمطي وتنظيرات من شأنها عرقلة السيرة الإسلامية التي تسعى للنهوض من الانحطاط، وبفضل وعي جديد تحمله أجيال قائمة للحياة بقوة تمتلكها خبرات ثقافية متحركة، تتجاوز العاليم وأدبيات الأدبيات التقليدية، حيث وسائط التواصل الاجتماعي تبهر العقول بحكم وساعة الفضة واتساعه بشكل مذهل، ربما الأئمة والمفسرون والقائمون على الشؤون الدينية لم يدركوا بعد مفهوم الحاجة الواقعية، أو أنهم لا يمتلكون جرأة الاعتراف بالحاصل المستمر حصوله، وأيضاً الخوف من مراجعة خبراتهم التي توارثوها، لذلك نجدهم مصريين على تسبيح الأجيال بالماضي الفقهي والشري والعقائدي من دون السماح لهم بالخروج عنه، والذي يخرج يكفر، أو يزندق، أي يتهم بالعلم أو الإحاد.

سأحدثكم بجملة في سنتينيات القرن الماضي، حيث زار مفتي دمشق الشيخ أبو البركات عابدين أبرز علماء بلاد الشام مع وفد ديني رسمي الاتحاد السوفيتي للإطلاع على منجزاته، ومن المواقع التي زارها الوفد محطة (عير) الفضائية، وأثناء جواره فيها لفت نظر الوفد غرفة زجاجية يتوسطها رجل مهيّب ذو لحية وملت إلى صدره يقرأ القرآن، تقدم وسأل المترجم له يجيب العربية؟ فأجابه عليك السلام، أعاد عليه السؤال: هل تقرأ القرآن؟ فأجابه وماذا تراني أفعل؟ من هذا القرآن صعدنا إلى الفضاء، أين أنتم منه؟! ألا تتحدث الآية: {إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفَعُوا لَا تَنْفَعُوا إِلَّا بَسْطَانًا} والسلطان طبعاً هو العلم المسكون في فقه القرآن، فإذا كان التلمود الأورشليمي والبابلي فقه التوراة، واللاهوت فقه الإنجيل، فأين فقه القرآن؟ والأئمة والمفسرون وكلمنا حدث اكتشاف يقولون إنه في قرأتنا منذ نزوله ولم يكتشف المسلمون حتى شعرة صناعية.

هل فهم المسلم بناءه المادي، الإنسان حالة ميكانيكية هيكل عظمي مكوّن باللحم والأعصاب والجلد، هل تفكر المفسر وقدم لنا الكيفية التي تتحرك بها، لم يقدر بعد لأنه ينسب كل ذلك إلى القدرة الإلهية التي لا ننكرها، ولكن هل فهم أن بداخل كل إنسان قرناً ذريعاً يحول الصلب والسائل إلى طاقة، وأنا نسير بفضل هذه الانشطارات النرية، وأن كل قطعة في داخل الإنسان تمثل اختراعاً مالياً يقيد الإنسانية والبشرية معاً، هل يستطيع أي مفسر شرح معنى الحج- الطواف- السعي- الشيطان، هل لها حاجة إلى هذه الأعمال، أم إنها من أجل نقاء الإنسان وصفائه وتفاعله مع أخيه الإنسان، وأن الحج موجود من يوم كانت الحياة، والصلاة كذلك، وإني لأؤكد أن اكتشاف كل الأفكار القديمة بات قريباً جداً، والخطوة إن لم نبادر إلى البحث الدقيق في تقديم الجديد، والجديد موجود في القرآن، فهل نبادر سريعاً للاشتغال عليه، وإنجازته فقهاً علمياً منطقياً وواقعياً، يستخرج الفكر الإنساني، فكر الحياة لا فكر الموت في سبيل الله، لأن الله لا يحتاج إلى موتنا، لأن الموت ثقافة، فهل تعلمنا ثقافة الرحيل؟ وهل تعلمنا ثقافة القدوم إلى الحياة وفهم أسباب الولادة ونظم التربية الأخلاقية قبل التربية الدينية؟

الفكر العربي الإسلامي يحتاج الآن إلى جهود كبيرة وجبارة من أجل مواكبة الحياة السريعة جداً وجسر الهوة الكبيرة بينه وبين الأدبيات المرافقة له، كيف بنا نفلن ذلك؛ الحلول متوفرة، يكفي أن يكون هناك إصرار على التقدم من دون تكفير المجتهدين، من دون زندقة الباحثين، كيف بالقيمين على الديانة الإسلامية يستمرون في تكفير الآخر، والآية الكريمة تقول: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي إن الله يفصل بينهم يوم القيامة لا نحن، كيف بنا لا نشغل على هذا الفقه العظيم بعد أن ندعو علماء النفس والتربية والفلسفة والرياضيات والفيزياء، وأن تشكل دائرة بحث جدي تدرس الفكر العلمي والإنساني في القرآن الكريم، وتقدم رؤى مستخلصة من فقه، ترى العالم قدرتنا على البعث والتجديد، ودمشق عاصمة الأدبيات وصاحبة أعمدة الإيمان المسيحي والإسلامي قادرة على فعل ذلك، فهل نفلن؟

## د. نبيل طعمة



## بين الكتاب الورقي والإلكتروني وكتب الأطفال... آراء الناس في معرض الكتاب الدولي الثامن عشر

## جمالية الكتاب الإلكتروني بسرعة تحميله والحصول عليه... وفي كل الظروف سهل التعامل

سوسن صيداوي

يقول ميخائيل نعيمة «عندما تصعب المكتبة في البيت ضرورة كالمطالعة والسير والكرسي والمطبخ، عندئذ، يمكن القول إننا أصبحنا قوماً متحصّرين».

وفي هذه الفترة تحققت دمشق بعودة معرض الكتاب الدولي الثامن والعشرين بعد غياب دام خمس سنوات



من الأجنحة المشاركة في المعرض

## لن يحل الكتاب الإلكتروني محل الورقي ما دام في الحياة منقون حقيقيون

سني حياته «أنا أحب جداً الكتاب الورقي ومتعلق به مذ كان عمري أربعة عشر عاماً، وكنت اشتريت مركزز الثقافي العربي وأنا في الصف الثامن ومن وقتها الكتاب الورقي ريفي، حاولت أن أقرأ الكتب الإلكترونية إلا أنني لم أرتح ولم تستهوي أبداً، ولا أعتقد أبداً أنه في يوم سيحل الكتاب الإلكتروني محل الكتاب الورقي ما دام في الحياة منقون حقيقيون وقراءة الكتب عندهم عادة مكتسبة ومحبوبة منذ زمن طويل..»

## الكتاب الورقي صامد

كان للشاعرة ميساء الصالح رأياها الذي تعبر خلاله وبأسلوبها عن عشيقها للمكتب الورقية «الكتاب الورقي يبقى جذاباً للقارئ أكثر من الإلكتروني الذي يعتبر أمراً عابراً كما أنه ينسى في وقت قريب، ويمكنني القول عن الكتاب الورقي... كيف تطبع الكلمة على الورق فتكلم تطبع في الذاكرة وتبقى في الشخص متحدة أكثر، وهناك توجه يمكن ملاحظته بأن الكتاب الإلكتروني بانتشاره وسهولة التعامل معه يحاول أن يحل محل دور الكتاب الورقي ويبعد الناس عن القراءة الحقيقية وبالتالي يكون الأشخاص سطحيين أكثر، وما دام في الحياة إنسان واع ومدرك لأهمية الكتاب الورقي فإنه قادر على الصمود».

بينما يعرف يمكننا أن نملأ حقايقها أثناء السفر بكتبتها المفضلة ولو كانت ثقيلة أو تأخذ حيزاً مكانياً «الكتاب الورقي له متعة عميقة، ويرأى الكتاب الإلكتروني هو للتصفح فقط والذي يكون فيه سطحياً، على حين الكتاب الورقي قادر على نقلنا إلى عالم آخر، ومع كل ورقة تقوم بطبها نجد أنفسنا انتقلنا وعشنا وغازمنا، الناس تستسهل الكتاب الإلكتروني ولكن يبقى للكتاب الورقي مكانته مهما كانت الظروف، والنسبة في لا أستطيع قراءة الكتب من على النت أو عبر المحصول، فالكتاب صديقي وله خصوصية كبيرة في قلبي».

على حين كان لفاروق رأيه عن الكتاب الورقي الذي يعبر عن عمق علاقته به «رويق الكتاب ورويق الورق والوقت اعترتها على أجسامنا سيلها والرويق الخاص بقتده الكتاب الإلكتروني رغم معاصرتة ورغم أنه شيء جميل إلا أنه في استخدامه أثر كثيراً في حياتنا وبشكل خاص على أجسامنا سيلها والرويق الخاص بها هو بلا روح، أنا اشتريت من المعرض كتابا بعنوان «إشراق روح» وهذا ما نحن نتفقر إليه في الوقت الحالي فكل ما نريده هو وجبات سريعة، وفي يومنا هذا نحن نستدل على أن الأسرة التي تقوم بزيارتها على قدر من الثقافة والتقدير للعلم، من خلال اهتمامها بالكتب والمكتبة في منزلها».

## الكلمة راجحة

وحتى دور النشر كان لها رأياها حول هذه الظاهرة المتبعة ومنهم رأي مهذب من دار نشر «صفحات» حيث قال «هناك أجيال معينة اعتادت الكتاب الورقي ولا يمكن لها أن تتخلى عنه، ومع الزمن يكتشف أي فارئ أن هناك حميمية بينه وبين الكتاب الذي يرافقه أليماً

ذهب، وصحح أن الكتب الإلكترونية شبه مجانية إلا أن العاطفة التي تربط بين الشخص القارئ وكتابه هي تكون العادة مكتسبة، وعلى الرغم من ظهور الكتاب الإلكتروني منذ التسعينيات، ومنذ بداية الألفية الثانية كانت دخلت المعلوماتية إلى سورية ومعها انتشر الكتاب الإلكتروني بشدة، هذا الأمر لم ولن يؤثر أبداً في الكتاب الورقي».

وفي رأي لسعيد الزعبي من «دار الفكر» للنشر قارن بين النوعين من الكتب وذكر بموضوعة ما هو جميل في التسلسل القديمة من الكتاب الورقي جيد وخاصة أنه في فترة من الفترات لاحظنا ابتعاد القراء عن الكتاب الورقي ولكن عادت الناس إليه باعتيابه ليس فيه المشاكل التي يسببها الآخر من حيث النظرة والنفس والجسد وخاصة إذا استمرت القراءة ساعات طويلة، بينما من حسنات الكتاب الإلكتروني أن الناس تجده سهلاً من حيث البحث عن المعلومة، وفي الوقت الحالي، نحن ندور نشر نقوم بطباعة كتب مثلاً بحجم خمسمئة ورقة ولكن بورق ليس له ثقل وبالتالي الكتاب يكون وزنه خفيفاً جداً وهذه النوعية عليها إقبال شديد من القراء، ومهما كانت سلبيات أو إيجابيات كل من الكتبتين فإن الحاسم بينهما هو القارئ نفسه وحسب طباعه وميوله وطبيعته، ونحن ندور للنشر في الوقت الحالي نقوم بالعمل على الكتاب نفسه بأن يكون إلكترونياً وورقياً بذات الوقت، وفي النهاية إذا حصرتنا النسبة بشكل دقيق فإن الإقبال على نطق الوطن العربي هو للكتاب الورقي والكلمة غالبية له».

من خلال جولتنا في معرض الكتاب الدولي استوقفتني أيضاً أجنحة منشورات الأطفال، وخاصة لأن هذا النوع من الأدب هو من السهل المتبع ونحن في مجاله ما زالت خطواتنا بطيئة ومتردة، لعدة أسباب لسنا في صددهم ذكرها، ولكن ما نحن في صددهم، هل ما قدمته دور النشر للأطفال من خلال المعرض هو بالشيء الجديد والذي لاقي إقبالاً من الأطفال، وهل تسعى دور النشر نفسها إلى نشر كتب معنية جداً بتنقيف الأطفال ودعمهم بالمعلومات العلمية والفنية والتاريخية والموسيقية والشاملة لكل ما هو في عالمنا، بموضوعة تامة وبأسلوب قريب إلى عقل وفكر وعواطف الطفل، بعيداً عن الأسلوب التثظيري الجاف مهما بلغت من جودة المعلومات، في الجولة التقيت العديد من الأطفال وأسرههم الذين أدبوا رأيه في نوعية الكتب المطروحة.

## كتب علمية مشوقة

توقفت مع الطفل هادي الحلبي البالغ من العمر أحد عشر عاماً وهو تميز في الصف السادس الابتدائي والذي أخبرني «أحب الكتب كثيراً وسعيد جداً لأن كان أحضرتنا إلى المعرض، كما أنني أحب اختيار الكتب العلمية التي تتحدث عن الاختراعات وعن الفضاء والتنجوم، ولا يهمني وجود الصور أو الألوان لأن المعلومات الجديدة التي تقدمها الكتب هي الأهم لي، وكنت طلبت من أمي أن تشتري لي كتابا بعنوان «أسرار جسم الإنسان» والتي بدورها ستوافق لأن

## «لا أفضل أن يقرأ طفلي الكتب الدينية

على حساب باقي أنواع العلوم... يجب أن

يكون لديه توازن بين كل أنواع العلوم

والمعارف كي يواكب مجتمعه ومحيطه»

عن رواه من متقفي سورية، والمستمر لغاية الثالث من شهر أيلول القادم، عاد عارض كل ما أمكنه- في ظل الأزمة التي أثقلت كل ما استطاعت- في أجنحته من صنوف المعرفة سواء من الرواية والمسرح والشعر أم التاريخ والفنون والسياسة وكتب الأطفال وغيرها، مع حسم ٦٠ بالمنة من سعر الغلاف لكل كتاب، وقد شارك في المعرض ٧٥ دار نشر سورية وعربية، ويرافقه فعاليات ثقافية وفنية تتضمن ندوات أدبية وتوقيع عدد من الكتب الصادرة حديثاً ومعرض فن تشكيلي لاتحاد الفنانين التشكيليين السوريين.



من الأجنحة المشاركة في المعرض

الكتاب سيقدّم في معلومات جديدة واستقديني وتساعديني في دراستي في المدرسة..»

دور الأهل حاضر خلال مطالعة الكتب والتقليب فيها من أجل اختيار الأنسب والأفضل للأطفال حتى لو كانت تحمل طابعاً ترفيهياً وهذا ما أخبرتني به الأم رفف الريش «طبعاً أقوم بدور الرقابة على الكتب وأتدخل باختيارات ابني لها، وفي مرة كنت اخترت له كتابا يحمل اسم «العلماء الصغار» وما لفت نظري شوق طفلي للكتاب ومتابعته الجيدة له، لهذا في التسلسل المقدمة من الكتاب نفسه لم أعد أتدخل بل أعطته الحرية باختيار ما يشاء منها، وأنا كأب حريصة جداً أن يتابع ابني كل أنواع الكتب وحتى في التسلسل المقدمة من الكتاب نفسه لم أعد أتدخل بل أعطته الحرية باختيار ما يشاء منها، وأنا كأب حريصة جداً أن يتابع ابني كل أنواع الكتب وحتى قدراته يجب أن يكون لديه توازن بين كل أنواع العلوم والمعارف في يستطيع مواكبة المجتمع وكل المحيطين به».

## لئون وصورة

الطفلة يمامة تستهوي الصور والألوان في كتب الأطفال وهي بعمر عشر سنوات وقالت: «أنا أحببت كتاب «دنيا الحيوان» وفيه صور كثيرة عن الحيوانات في الغابة، وأنا أحب الكتب التي فيها الكثير من الصور والألوان وأحب القصص كثيراً».

على حين قابل والدهما «أطفالي هم من اخترعوا كتبهم، والكتاب الموجودة في الأجنحة هي بالعموم جيدة وبسبطة سواء من حيث الموضوع أم حتى في الأسلوب، وأظن لن يجد أولادي معها صعوبة بالفهم، أما بالنسبة لأسعارها فهي مقبولة، وبالنسبة في كتاب يهمني أن أختار لهم كتباً وقصصاً تحمل بالدرجة الأولى مضموناً أخلاقياً».

الطفل محمود صبور أخبرنا كتباً ليست لعمره ولكن والده قبل أن يشتريه له لأنه هو نفسه سبقوه معه ويشرح له ما يصعب عليه فهمه وقال الطفل محمود: «عمري تسع سنوات ووجدت الكثير من الكتب واكتني أحب عالم الحيوان وكنت اخترت كتاباً بعنوان «صاحبا الإنترنت»، صحيح أنه للكتاب ولكن أبي طيب، وسيقرأ الكتاب معي وسيشرح لي ما يصعب على فهمه».

على حين رأى والد الطفل محمود الدكتور علي الصبور حول ما هو معروض من كتب للأطفال «الكتب المخروضة هي محددة جداً ومعظمها متجهة نحو الأدب والقصّة، والنوعية العلمية والتعليمية قليلة، ولم أجد بين الأقسام شيئاً مميزاً، ومن الطبيعي أن أختار أو أتدخل باختيار الكتب لأطفالي وحتى لو كان الكتاب لا يناسب فتته المعربة والفرق المعري بسيط فالمعرفة هي ما أسعى أن يحصل عليه أولادي وهي ما تهمني بالدرجة الأولى».

وبالنسبة إلى جودة كتب الطفولة وإقبال الناس عليها أخبرتنا سميرة شكر من «دار الحافظ» للنشر «نسعى دائماً من خلال مطبوعاتنا إلى الموضوعية مهما كانت المواضيع التي نقوم بطباعتها ونشرها، كما يهمني أن تكون المعلومة دقيقة وصححة وبعيدة عن آرائنا الشخصية، حتى لدينا في الدار أشخاص متخصصون لدراسة دقة المعلومات لأن عالم الطفولة سهل متنع، علينا توخي الحذر والبساطة الشديدين سواء من حيث المواضيع أو من حيث الأسلوب، كي تناسب كل الأطفال وبحسب فئات عمرهم، وبالنسبة للكتب الدينية من الضروري أن تكون كتباً من القرآن وهي تحمل شرحاً أو تفسيراً له ونحاول أن نقدمها للطفل بروا الكتب ويقوموا بشرائها لهم وخاصة أن الصور والألوان لأقنة لنظر الطفل».

